أحدث مناهج تحقيق المخطوطات

تطبيقا على أول موسوعة طبية فى تاريخ الإنسانية وأهمها

دكتورخالد حربى جامعة الاسكندرية

انتهيت في دراسات وتحقيقات وترجمات سابقة إلى أن أبا بكر محمد بن زكريا الرازي (250 – 313هـ - 864 – 925م) أبرز أطباء الحضارة الإسلامية ، وطبيب المسلمين بدون منازع ، وأبا الطب العربي ، وجالينوس العرب ، بل وحجة للطب في العالم منذ زمانه القرن الثالث الهجري ، وحتى القرن الثامن عشر للميلاد ، ففي خلال هذه القرون الممتدة ، كانت مؤلفات الرازي الطبية والعلاجية تشكل أساساً مهماً من أسس تعليم طلاب الطب في جميع أنحاء العالم ، وذلك إنما يرجع إلى الإسهامات الطبية والصيدلانية ، والبحثية والتعليمية الأكاديمية الرائدة التي قدمها الرزاي ، وعبرت بحق عن روح الإسلام وحضارته إبان عصورها المزدهرة ، وعملت على تقدم علم الطب، وأفادت منها الإنسانية بصورة لا يستطيع أن ينكرها مُنكر.

تضمنت أعمالي المنشورة في الرازي كثيراً من إنجازاته وابتكاراته تلك التي شكلت لديّ (حزمة) من المبادئ والآراء والأفكار والنظريات الرازية التي لم تكتشف من قبل ، فتم اكتشافها باعتبارها إضافات جديدة في بناء مذهب الرازي ، وحجم الطب العربي الإسلامي ككل . وقد أفدت إفادات جمة بتلك الدراسات والتحقيقات في منهجي لتحقيق " **الحاوي في الطب** " كأعم وأهم وأضخم موسوعة طبية في الطب العربي الإسلامي ، بل في تاريخ الطب الإنساني كله . ولعل هذا ما يفسر استمرار العمل في تحقيق الحاوي من سنة 1995 وحتى سنة2012 .

ومن هنا تأتي هذه الدراسة لتبحث بصورة شمولية في الرازي وانجازاته ، وكيف يمكن أن تعد هذه الإنجازات وصاحبها ، مدرسة طبية أفادت الإنسانية .

إن تصوري لدراسة مآثر وتراث علماء الحضارة الإسلامية يتطلب أن نناقش بصورة فاعلة عدة محاور رئيسة تتمثل في التساؤلات الآتية :

- ما الصورة التي وصل إليها العلم في عصر هذا العالم أو ذاك ، وما موقفه منها ؟
- ما المقدمات المعرفية والمنهجية التي انطلق منها ؟
- ما المنهج الذي اتبعه للوصول إلى ما وصل إليه ؟
- ما طريقته في الدرس العلمي ، أصولها ومميزاتها ؟
- ما مدى تأثيره في تلامذته وعلماء عصره ، وما خصائص التقاليد العلمية التي أرساها ، وأثرها في الأجيال اللاحقة ؟
- ما الحجم الحقيقي لانجازاته العلمية ، هل استطاع تحقيق إنجاز علمي تميز عن إنجازات السابقين، وأثر في اللاحقين ؟

أسئلة منهجية وجوهرية حاولت الإجابة عليها في **منهجي لتحقيق الحاوي** كأول وأعم وأهم موسوعة

طبية في تاريخ الإنسانية, ذلك **المنهج** الذى تضمن الأعمال والمراحل التالية:

1- أبو بكر الرازى حجة الطب فى العالم منذ زمانه

وحتى العصر الحديث

الطبعة الأولى ، دار ملتقى الفكر ، الإسكندرية 1998 ، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.

دراسة ، تناولت حياة الزارى وعصره ، وقوام المعرفة الطبية ، والنظرية الطبية التى سادت فى ذلك العصر ، وذلك بغرض الوقوف على المنطلقات المعرفية التى انطلق منها الرازى ، وقد استدعى ذلك دراسة مجالس التعليم وطريقة الرازى فى الدرس الطبى ، النظرى والعملى ، وانتهيت من كل ذلك إلى أهم سمات العمل العلمى عند الرازى. كما تعرضت الدراسة لإنجازات الرازى فى التأليف الطبى كالحاوى ، والمنصورى ، وبُرء ساعة ، وجراب المجربات وخزانة الأطباء ، وكتاب التجارب ، وكتاب سر صناعة الطب ، والجدرى والحصبة ومقالة فى النقرس ، وعرجت من ذلك إلى منهج البحث العلمى عند الرازى من خلال دراسة معالم المنهج التجريبى ، وهى الملاحظة والتجربة وفرض الفروض وتحقيقها ، ثم استكشاف تلك المراحل عند الرازى . وكذلك الكشف عن منهج الرازى فى التشخيص والعلاج ، وذلك من خلال عدة نقاط هى : التشخيص العام ، الرازى رائد نظرية التشخيص التفريقى ، المعالجات النفسية والخروج على قسم أبقراط ، والوقاية فى إطار منهج الرازى .

2- بُرء ساعة

الرازى ، بُرء ساعة ، دراسة وتحقيق خالد حربى ، الطبعة الأولى ، دار ملتقى الفكر، الإسكندرية 1998. الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2006.

تعد مخطوطة "بُرء ساعة" للرازى بادرة أعمالى فى مشروعى التراثى الذى أتبناه تجاه تحقيق ونشر مؤلفات الرازى التى مازالت مخطوطة. وقد نشرت النص المحقق لهذه المخطوطة – الصغيرة الحجم والبالغة الأهمية- فى عام 1998 بعد أن نشرت دراسة مستفيضة فى الرازى وأثره فى تاريخ الطب العربى والعالمى وذلك فى الأعوام السابقة لنشر "بُرء ساعة" .

فى الطبعة الأولى اجتهدت فى تقديم أقرب وأدق نص وضعه الرازى وذلك عن طريق استيعاب وفهم نص المخطوطة ، ثم مقابلة النسختين المعتمدتين فى التحقيق ، وذلك بغرض تلافى أخطاء النساخ ، خاصة وأن النسختين لم تنسخ واحدة منها الأخرى ، وبالتالى فإن الخطأ الواحد لا يتكرر فى النسختين إلا فى القليل النادر ، وكل ذلك من أجل الوقوف على أقرب نص صحيح للكتاب وبعد ذلك تم استيفاء جميع خطوات منهج التحقيق عبر صفحات الكتاب .

وفى الطبعة الثانية ، أضفت بعض المعلومات الجديدة التى اختمرت عندى على مدار سنوات صحبتى للرازى وكتبه كما صححت بعض المواضع وعدّلت بعضاً آخر بهدف تحقيق الغرض الذى خرجت هذه الطبعة من أجله ، وهو الكشف عن وثيقة من أهم وثائق الطب العربى إبان عصور ازدهاره لاسيما وأن صاحبها يُعد – باعتراف الغربيين- حجة للطب فى العالم منذ زمانه وحتى العصور الحديثة.

3- جراب المجربات وخزانة الأطباء

الرازى ، جراب المجربات وخزانة الأطباء ، دراسة وتحقيق وتنقيح خالد حربى ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002 ، الطبعة الثانية دار الوفاء الإسكندرية 2005.

موسوعة طبية متكاملة – فى غاية الأهمية- للعلاج بالنباتات الطبيعية والأعشاب لكل الأمراض المعروفة فى عصر الرازى ، والتى يمكن أن تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم .

وقد ظل هذا الكتاب مجهولاً إلى وقت قريب ، حتى وفقنى الله لتحقيقه ونشره باعتباره وثيقة هامة جداً من وثائق الطب العربى الإسلامى المزدهر ، وباعتباره أيضاً أحد مخطوطات الرازى الذى أتبنى تجاهه مشروعاً تراثياً يهدف إلى تحقيق ونشر ما تبقى من مؤلفات الرجل المخطوطة.

وإذا كان الهدف من تحقيق كتاب "جراب المجربات وخزانة الأطباء" للرازى هو الإسهام فى عملية إحياء التراث العربى الإسلامى إبان عصوره المزدهرة ، فلا شك أن ما بُذل من جهد فى سبيل تحقيقه قد جاء عن اقتناع كامل بقيمته العلمية من حيث انه يعتبر موسوعة طبية متكاملة للعلاج بالأعشاب والنباتات الطبيعية لكل الأمراض المعروفة فى عصر الرازى ، والتى يمكن أن تصيب الإنسان من الرأس إلى القدم. وذلك باستثناء بعض الأمراض القليلة التى ظهرت حديثاً ولاسيما مرض فقدان المناعة (الإيذر) لكن مما يبين عظمة وجدوى وفائدة الطب العربى أن هناك أبحاثاً تجرى حالياً على مفردات هذا الطب ، وخصوصاً على حبة البركة لاستخراج مادة طبيعية تساعد فى علاج هذا المرض ومن الملاحظ حالياً مدى اهتمام معظم دول العالم المتقدم بإحياء المعالجة بالأعشاب والنباتات الطبيعية ، من حيث أنها لا تترك آثار جانبية أو مضاعفات إذا استخدمت الاستخدام الأمثل ، والذى يأتى من قِبل المتخصصين فى هذا الفن ، أى الأطباء والصيدلانيين .

وعلى ذلك تتضح أهمية تحقيق وإخراج النصوص المخطوطة القديمة المتخصصة فى هذا الجانب الهام ، ولاسيما الكتب الطبية العلاجية مثل كتاب "جراب المجربات وخزانة الأطباء" موضوع هذا العرض ، حيث أرى أن مثل هذه الأعمال – أى تحقيق ونشر المخطوطات القديمة- إنما توفر الوقت والجهد للمتخصصين ، إذ أن هذا الكتاب إنما يحوى المئات من أسماء النباتات وكيفية استعمالها فى علاج الأمراض المختلفة فما على الباحثين فى الطب والصيدلة ، إلا أن يجروا أبحاثهم للتأكد مما صاغه الرازى وغيره من الأطباء القدامى ، وتقديم نتائج هذه الأبحاث فى صورة علاجية عصرية .

وقد جاء الالتزام بتحقيق هذا الكتاب أيضاً باعتباره وثيقة هامة من وثائق الطب العربى المزدهر تكاد تكون مجهولة – إلى حد ما- فلم يذكر هذا الكتاب من المؤرخين أو المفهرسين الثقات سوى خير الدين الزركلى فى مصنفه "الأعلام" ، وذلك إنما يرجع إلى خلط المؤرخين القدامى ، وكذلك بعض الباحثين المحدثين بين هذا الكتاب "جراب المجربات وخزانة الأطباء" وكتاب "التجارب" للرازى ، واعتبارهما كتاباً واحداً. ولكن بعد حصولى على النسخ المخطوطة لكلا الكتابين ، أثبت بالفحص والدراسة والتحقيق أنهما ليس كتاباً واحداً ، بل هما كتابين مستقلين ، يختلف الواحد منهما عن الآخر ، سواء فى الموضوع أو المنهج ، أو طريقة العرض أو الأسلوب .

ولعله من كل ما سبق تتضح أهمية إخراج كتاب "جراب المجربات وخزانة الأطباء" لعلم من أعلام الطب فى العالم وهو الرازى ، ولأهميته بالنسبة للمهتمين بشئون التراث الإسلامى بعامة وللباحثين فى مجالات الطب والصيدلة وتاريخهما وتاريخ العلوم العربية الإسلامية بصفة عامة .

4 – كتاب التجارب

أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، كتاب التجارب ، دراسة وتحقيق خالد حربى ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002 ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.

من أهم وأجلّ كتب الرازى ، سجل فيه مئات التجارب الطبية والعلاجية (الحية) التى قام بها بنفسه وعالج من خلالها مرضاه وبعد نجاحها دونها مفصلة فى هذا الكتاب الأشهب ، والذى ظل مخطوطاً ، لم يسبر غوره أحد من الباحثين لتحقيقه ونشره حتى عام 2005. فاتجشمت أنا عناء هذه المهمة (الهامة) ، ونشرت الكتاب بدراستى وتحقيقى ، وذلك ضمن مشروعى التراثى المعنى بتحقيق ودراسة ونشر مؤلفات أبى بكر محمد بن زكريا الرازى أعظم طبيب أنجبته العصور الوسطى قاطبة ، بل وحجة الطب فى العالم منذ زمانه (القرن الثالث الهجرى) وحتى العصور الحديثة.

ويعتبر كتاب التجارب من الدلالات القاطعة على أن الرازى يُعد "إمام" فى كشف وتطبيق المنهج التجريبى بكافة مراحله المعروفة حالياً . فلقد تحرر الرازى من تأثير المذاهب والنظريات الطبية السائدة فى عصره – وخاصة كتابات ابقراط وجالينوس – ، فلم يرض بالتسليم بما تتضمنه ، إلا بعد إقرار التجربة بذلك ، على اعتبار أنها أضمن الطرق وصولاً إلى الحقيقة العلمية ، ومن أقواله فى ذلك ما يلى :

– وتكون الدعاوى عندنا موقوفة إلى أن تشهد عليها التجارب .. ولا نحل شيئاً من ذلك عندنا محل الثقة ، إلا عند الامتحان والتجربة .

– إن الشكوك المغلطة تقع على الأكثر فى الفن النظرى أكثر منه فى التجربة .

– العلم الذى يطمئن إلى مذهب مقضى عليه بالوقوف والعزلة ، لأن إدماج المعلومات فى مذهب يعد بمثابة تحجر علمى .

– عندما تكون الواقعة التى تواجهنا متعارضة والنظرية السائدة ، يجب قبول الواقعة ونبذ النظرية حتى ، وإن أخذ بها الجميع نظراً لتأييد مشاهير العلماء .

وبفضل تطبيق الرازى للمنهج التجريبى بكل دقة وإحكام ، استطاع الوصول إلى وضع مبادئ وأسس "علم السريريات" البحتة ، أو ما يعرف "بالطب الإكلينيكى" الذى يُعد الرازى بحق رائده الأول فقد كان لكل مريض عند الرازى تقارير تفصيلية وافية مدوّن فيها كل المعلومات عن الحالة المرضية ، وتاريخ تطورها ، وأدق التفاصيل من حياة المريض الشخصية والنفسية والاجتماعية ، وكل ذلك بغرض الوقوف على تشخيص سليم للمرض ، وبالتالى تقديم العلاج المناسب .

ولقد اهتم الرازى اهتماماً كبيراً بإجراء تجاربه على الأدوية الجديدة قبل تقديمها كعلاج ، وكان يبدأ أولاً بالتجارب على الحيوانات ، ثم على الإنسان وهذا ما هو متبع تماماً حالياً .

5- سر صناعة الطب

أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ، سر صناعة الطب ، دراسة وتحقيق خالد حربى ، الطبعة الأولى ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002 ، الطبعة الثانية دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.

يمثل موضوع هذا الكتاب حلقة مهمة جداً من حلقات سلسلة مؤلفات الرازى ، حيث قصد به "نشر صناعة الطب" رداً على من ضنّ بها وكتمها ، الأمر الذى أدى إلى إبادة ثمرة العلم .

فلقد رأى الرازى أن بعض المتطبيين يكتمون أسرار صناعة الطب عن غيرهم لأنهم اتخذوها معاشاً ومكسباً ، فخرجوا بذلك عن أخلاق هذه المهنة الشريفة ، فجاء كتابه هذا – فى مقابل الاتجاه المضن – لنشر "صناعة الطب" بأنواعها : الإنذارات ، والضمانات والتجارب المستنفذة من الحكماء ، والمؤلفة من كلامهم ونكتهم ورموزهم ، ثم ألحق الرازى بذلك طرقاً مما خبره فى نفسه واستدركه بمزاولته وتجربته ولإتمام الفائدة اختتم الرازى كتابه بفصل مجمل فى الأدوية والأغذية ، وبعض أسرار أبقراط التى كتمها غيره ، وضنّ بها على الناس.

وجملة القول إن كتاب سر صناعة الطب للرازى يعد من جلّ مؤلفات تاريخ الطب العربى ، بل والعالمى .

ظل الكتاب مخطوطاً حتى أتى إخراجى ونشرى له ضمن مشروعى التراثى المهتم بتحقيق ونشر أكبر عدد ممكن – ومتاح- من مؤلفات حُجة الطب فى العالم .

6- الرازى فى حضارة العرب

د.م دنلوب ، الرازى فى حضارة العرب ، ترجمة وتقديم وتعليق خالد حربى ، ط الأولى ، دار الثقافة العلمية ، الإسكندرية 2002.

أتت ترجمة هذا الكتاب فى إطار اهتمامى وانشغالى بأعمال أبى بكر محمد بن زكريا الرازى ، ومن باب الاهتمام بكل ما كتبه الغربيون عن علماء العرب والمسلمين ، وذلك لنقف على موقفهم الحقيقى تجاه حضارتنا العربية الإسلامية خاصة وأن منهم المنصفين ، ومنهم دون ذلك.

قال دَنلوب : نتناول هنا طبيب مسلم ، ورجل علم يدعى "جالينوس العرب" الذى تمتع بشهرة عظيمة إبان العصور الوسطى ، ووصلت هذه الشهرة إلى زماننا ، ألا وهو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى الشهير بـ "رازيز" أو :رازيس" (حيث ينطق ويكتب بالتبادل بين ز ، س).

ولمعرفة الرازى فى أوربا فإن تاريخ 1799 ذو أهمية كبيرة . ففى تلك السنة نشر جون شانينج الإنجليزى لأول مرة عمل الرازى باللغة العربية الأصيلة ، حيث قدم طبعة بالعربية واللاتينية معاً لـ "كتاب فى الجدريوالحصبة" للرازى . وكان هذا الكتاب قد اجتذب فى عام 1747 اهتمام الدكتور الشهير ميد Mead (1754-1973)

فوصف كتاب الرازى هذا بأنه أقدم وأكثر الكتب الأصيلة أهمية عن الجدرى والحصبة. ومن المحتمل أنه من أكثر المخطوطات دقة وأصالة فى المطبوعات الطبية العربية.

7- بنّية الجماعات العلمية العربية الإسلامية

خالد حربى ، بنية الجماعات العلمية العربية الإسلامية ، تقديم ومراجعة د, على عبد المعطى محمد ، د. ماهر عبد القادر ، ط الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2003.

درست الرازى فى هذا الكتاب كجماعة علمية ومدرسة امتد تأثيرها فى الأجيال اللاحقة .. ففى مجلسه العلمى كان الرازى الأستاذ العالم ينصح طلابه بكثرة قراءة الكتب النظرية المشهورة فى الطب ، وينصح بالاستكثار من قراءة كتب الحكماء .. وذلك فى نظره نافع لكل حكيم . ولذلك نراه فى كتابه "المرشد" يرشد الأطباء الجدد إلى قراءة كتاب أبقراط فى "تقدمة المعرفة" ، وكثير من كتب جالينوس مثل "أدوار الحميات" و"الأدوية المفردة" و "أزمان الأمراض" ، و "الاسطقسات" و "البحران" ، و "أيام البحران" ، و"تدبير الغذاء فى الأمراض الحادة" ، و"العلل والأعراض" ، و "حيلة البرء" ... وغيرها . وفى ذلك يقول الرازى : "والأجود ألا تترك ولا كتاباً واحداً إلا وتطلع عليه وتعلم ما فيه".

وبعد أن يجمع الطالب أكبر قدر من الكتب ، ويقف على ما فيها ، فإن الرازى ينصحه بأن يعمل لنفسه كتاباً يُضمنه ما غفلت عنه الكتب التى قرأها ، ويكون بمثابة مرجع يسهل الرجوع إليه عند الحاجة ، إذ يقول : "إن كنت معنياً بالصنعة وأحببت أن لا يفوتك ولا يشذ عليك شئ ما أمكن ، فأكثر جمع كتب الطب جهدك . ثم أعمل لنفسك كتاباً تذكر فيه كل علة ما قصر الكتاب الآخر وأغفله من كل نوع من العلل ، فيكون ذلك كنزاً عظيماً وخزانة عامرة ، حافظاً على الذكر ومسهلاً لتناول ما تريده منه إن شاء الله" .

لقد حرص الرازى على تعليم طلابه حرصه على علاج مرضاه أو أشد وقد اتبع فى منهجه التعليمى طريقتين ، الأولى للتعليم النظرى ، والأخرى للعملى .

أما حلقات التعليم العملى ، فكانت تعقد فى البيمارستانات، وحول أسرة المرضى. ويشير الرازى إلى أهمية الدروس العملية بالنسبة لطالب الطب قائلاً : "ينبغى لطالب هذه الصناعة أن يكون ملازماً للبيمارستانات ، ومواضع المرضى ، كثير المداولة بأمورهم وأحوالهم ، كثير التفقد ، ولا يتهاون بها .

فليس الطب علماً يدرس فى الكتب فحسب ، بل هو تجارب وخبرة مكتسبة من المرضى . وكان الرازى من أكثر الأطباء تجارباً وخبرة . بل أعظم وأشهر أصالة من أى طبيب آخر فى الإسلام . وقد انعكس ذلك على طريقة تدريسه لتلاميذه حول سرير المريض ، شارحاً لهم الحالات المرضية النادرة واحدة بعد الأخرى ، وهذا يعنى أن المريض عند الرازى استخدام ككتاب يقرأ يومياً وباستمرار للوقوف على الأعراض التى تعتريه. وكان يشرح لطلابه كل حالة يفحصها ويسجل أسئلته ومشاهداته فى صفحة خاصة مبتدأ باستجواب المريض ، والطلاب من

حوله ، سائلاً عن اسمه ، وعمره ، وبلده ، ورحلاته ، وعما ألم به ، واليوم الذى شعر فيه بالمرض ، وموضع الألم ، والأعراض التى رافقته بالترتيب والتسلسل الزمنى لها ، مؤكداً على أن المريض خير رواية لشرح أبعاد المرض الذى يعانيه شخصياً ، كما كان يسأل المريض عن عائلته وأفرادها ، وهل أنهم شعروا بنفس الأدوار التى يكابدها هو؟.

من كل ما سبق أستطيع أن استنبط مزايا طريقة الرازى فى الدرس الطبى ، وما أحدثه فى مجال المعرفة الطبية ، والتعليم الطبى ، وذلك فيما يلى :

1- اتبع الرازى طريقة أكاديمية فى التعليم ، يدل على ذلك تقسيمه لطلابه إلى مجموعات متمايزة بحسب تاريخ الالتحاق بالحلقة وما حصله الطالب من الدرس الطبى منذ التحاقه ، وهذا يكاد يقترب مما هو معمول به الآن فى مراحل التعليم المختلفة ، مع الوضع فى الاعتبار للفارق فى الوسائل التعليمية التى كانت متاحة فى زمن الرازى ، وما هو متوفر منها الآن.

2- أدرك الرازى أن لكل متعلم مقدرة عقلية ينبغى مراعاتها فيما يلقى إليه من مقدار العلم، فضلاً عن نوعه.

3- تدرج الرازى بالمتعلم من الأسهل إلى الأقل سهولة ، فكان يُعطيه أولاً أصول العلم ، حتى يتهيأ عقله بعد ذلك لقبول جوامعه.

4- حث المتعلمين على أهمية قراءة كتب السابقين المتخصصة باعتبارها منطلقات إبستمولوجية ينطلقون منها إلى معرفة جديدة على اعتبار أن العمر لا يكفى لمشاهدة كل الوقعات المرضية .

5- اتخذ الرازى من المتعلم مدرساً له ، وذلك من خلال مناقشاته السريرية وأسئلة المتعلمين ، واستفساراتهم عن أمور قد لا يكون الرازى قد وقف عليها ، فيعود إلى الإطلاع والمشاهدة والتجربة. وهذه الطريقة تشبه إلى حد ما عمل الأطباء – الأساتذة- وخاصة فى مرحلة الدراسات العليا.

6- بث القيم الأخلاقية فى نفوس التلاميذ ، بحثهم على أن يكون هدفهم معالجة المريض بصرف النظر عن أخذ الأجر . ومعالجة الفقراء بنفس الاهتمام الذى يعالجون به الأغنياء .

7- الاهتمام بأثر العامل النفسى فى العملية التعليمية .

8- أكد الرازى على أهمية الدروس العملية فى تعلم الطب ، وقد تمثل هذا فى تعليم طلابه كيفية مزاولة المرضى ، وفى شرحه لهم حول أسرة المرضى فى البيمارستانات . وتعد حالات الرازى السريرية من الإسهامات الأصيلة فى مجال المعرفة الطبية. وقد أُعتبر بها رائداً لعلم السريريات الحديث.

8- مقالة فى النقرس

دراسة وتحقيق خالد حربى ، ط الأولى ، دار الوفاء ، الإسكندرية 2005.

من أهم وأخطر كتب الرازى ، بل وكتب تاريخ الطب العالمى قاطبة ، حيث يعد هذا الكتاب وثيقة جليلة قدمها الرازى ليس للمشتغلين بالطب فحسب ، بل وللإنسانية جمعاء. ويكفى أن نعرف أن هذا الكتاب يحتوى على تشخيص تفريقى بين أعراض كل من مرض النقرس ، ومرض ألم المفاصل ، فمن الإسهامات الأصيلة التى قدمها الرازى للإنسانية جمعاء، تفرقته بين الأمراض المتشابهة الأعراض ، والتى تعتمد على علم الطبيب وخبرته

، وطول ممارسته ، وذكائه ، وقوة ملاحظته ، وتجاربه ، وقد توفر كل ذلك فى الرازى ، الأمر الذى جعله سباقاً فى هذا المجال ، فلم يسبقه أحد من السابقين عليه ، سواء من أطباء اليونان ، أم من أطباء العرب والمسلمين .

وتعتمد نظرية الرازى فى التشخيص بصفة عامة على وضع سؤال رئيس مؤداه: ما الفرق بين الأمراض ، ومما يتكون هذا الفرق ؟ ثم يخبرنا بكيفية التفتيش عن هوية محددة لهذا الفرق لمرضين أو أكثر متشابهين ظاهرياً ، وينتهى مقرراً أن الفرق لا يبنى على أساس فهم حقيقته ، ولكن يُبنى على قاعدة الملاحظة السريرية المختلفة عند الفحص وذلك ما هو معمول به منذ الرازى وحتى الآن .

ومن هنا أتى تحقيقى ودراستى ونشرى لكتاب مقالة فى النقرس للرازى والكتاب يحمل رقم (6) فى سلسلة مؤلفات الرجل التى أعكف على تحقيقها ونشرها منذ سنوات طويلة. وليس من شك فى أن تلك المؤلفات تكتسب أهميتها من أن صاحبها يُعد بحق أعظم طبيب أنجبته العصور الوسطى ، قاطبة ، بل وحجة الطب فى العالم منذ زمانه ، وحتى العصور الحديثة وكل ذلك بغرض إحياء وإظهار جانب مشرق من جوانب تراثنا العربى الإسلامى المجيد ، مازال فاعلاً حتى اليوم.

ولأهمية وفاعلية نص كتاب "مقالة فى النقرس ، للرازى ، صدرت نشرتى له فى بداية عام 2005. وكان قد سبقها نشرة أخرى قام بها فريق العمل بإدارة المخطوطات (أكثر من مائة موظف) بقيادة يوسف زيدان بمكتبة الإسكندرية .

وبظهور نشرتى اكتشف المتخصصون والمهتمون بشئون التراث العلمى العربى ، أنها أدق وأصوب من نشرة يوسف زيدان وفريقه ، تلك النشرة التى حكم عليها – رسمياً- بأنها تمثل اعتداء على التراث الإسلامى المخطوط وتظهر صورة هذا الاعتداء فى الإقدام على نشر النصوص دون أهلية علمية كافية بموضوع النص (مجلة المصور 22 سبتمبر 2006) ودون امتلاك لأدوات البحث العلمى الضرورية من التأنى والصبر وقراءة النص فى ضوء النصوص الأخرى لنفس المؤلف (أخبار الأدب 15 أكتوبر 2006) . وتتمثل أبرز صور الاعتداء فى تشويه الموقف العقلى للرازى ، وفى اتهامه فى عقيدته وأخلاقه دون دليل كاف (الشرق الأوسط اللندنية 1 نوفمبر 2006) ، ثم نقل هذا التصور المغلوط إلى العالم بأسره ، عندما أقدمت مكتبة الإسكندرية على ترجمته إلى اللغات الأجنبية الرئيسة الثلاثة : الإنجليزية والفرنسية والألمانية وهى الترجمات التى حملت معها أخطاء المحقق حتى فى عنوان الكتاب (الجمهورية 4 نوفمبر 2006).

وانظر تفاصيل هذا الاعتداء على الرازى وضحدها فى كتابى: العبث بتراث الأمة فيما سيأتى.

9– علوم حضارة الإسلام ودورها فى الحضارة الإنسانية

خالد حربى ، علوم حضارة الإسلام ودورها فى الحضارة الإنسانية ، سلسلة كتاب الأمة رقم 104 ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، قطر 2005.

تناولت الرازى فى هذا الكتاب كأنموذج لعلم الطب فى الحضارة الإسلامية ، وأثره فى الحضارة الإنسانية .. فالرازى هو أول من وصف مرض الجدرى والحصبة، ووصف لهما العلاج المناسب ، وأول من ابتكر خيوط الجراحة

من أمعاء القطط ، ومن أوتار العود .. ويعد الرازى أول من اهتم بالجراحة كفرع من الطب قائم بذاته ، ففى كتابه الأشم "الحاوى" وصف لعمليات جراحية تكاد لا تختلف عن وصف مثيلتها فى العصر الحديث. وهو أيضاً أول من استخرج الماء من العيون ، كما كشف طرقاً جديدة فى العلاج ، فهو أول من استعمل الأنابيب التى يمر فيها الصديد والقيح والإفرازات السامة ، واستطاع أن يميز بين النزيف الشريانى والنزيف الوريدى ، واستخدم طريقة التبخير فى العلاج ، والمعمول بها حتى الآن .

ولقد أسهم الرازى فى مجال التشخيص بقواعد لها أهميتها حتى الآن ، منها : المراقبة المستمرة للمريض ، والاختبار العلاجى ، وهو أن يُعطى العليل علاجاً مراقباً أثره ، وموجهاً للتشخيص وفقاً لهذا الأثر. ومنها أهمية ودقة استجواب المريض ، فينبغى للطبيب أن لا يدع مسائلة المريض عن كل ما يمكن أن يتولد عن علته من داخل ، ومن خارج ، ثم يقضى بالأقوى. ومنها أيضاً العناية بفحص المريض فحصاً شاملاً على اعتبار أن الجسم وحدة متماسكة الأعضاء إذا اختل واحد منها "تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى". ولقد اعتمدت نظرية الرازى الأساسية فى التشخيص على التساؤل عن الفرق بين الأمراض فمن الإسهامات الأصيلة التى قدمها الرازى للطب تفرقته بين الأمراض المتشابهة الأعراض ، وهذا ما يطلق عليه الآن التشخيص التفريقى Diff Diagnosis .

وجملة القول: إن الرازى قدم إسهامات طبيبة وعلاجية رائدة عملت على تقدم علم الطب ، وأفادت منها الإنسانية بصورة لا يستطيع أحد أن ينكرها.

10- العبث بتراث الأمة

خالد حربى ، العبث بتراث الأمة – فصول متوالية : فهرس بلدية الإسكندرية – نقرس الرازى ليوسف زيدان ، ط الأولى ، الإسكندرية 2006.

دراسة نقدية ضمت فصولها أوراق قضية علمية وثقافية خطيرة ، كان لابد من جمعها فى ملف واحد ، بعد محاولات مضنية لانطماسها من قِبل المعنيين بها .. تناولت فى هذه الدراسة بالنقض ، كتابين ليوسف زيدان ، الأول فهرس بلدية الإسكندرية ، والآخر تحقيقه – ومعه فريق عمل يزيد على المائة – لمقالة فى النقرس للرازى . وما يهمنا هنا هو النقرس ، حيث بيّنت فصول الكتاب الخاصة بنشرة يوسف زيدان – وفريقه- لكتاب "مقالة فى النقرس" للرازى، كمية الأخطاء والمغالطات والتزييفات والتحريفات التى ارتكبها يوسف زيدان – وفريقه – فى نشرته لهذا الكتاب التراثى الخطير، وترجع خطورته إلى أن ما دوّنه الرازى فيه من معلومات طبية وصيدلانية خاصة بمرض النقرس، مازال معظمها فاعلاً حتى هذه اللحظة، ويوسف زيدان – وفريقه – ينشر الكتاب بصورة لا تسيء إلى الرازى فحسب، بل تسيء إلى تراثنا العلمى المجيد كله، على اعتبار أن الرازى قد وصفه الغربيون أنفسهم، وهم ليسوا من بنى جلدتنا، بحجة الطب فى العالم منذ زمانه وحتى العصور الحديثة، وهذا ما يبرر وصف كثير من الصحف المصرية والعربية نشرة يوسف وفريقه – بسبب نشرتى لنفس الكتاب – بأنها فضيحة علمية عالمية ، أعلنت عنها كمية الأخطاء العلمية البشعة التى ارتكبها يوسف وفريقه، وحصرّتها فى كتابى هذا.

فلقد تناولت نشرة يوسف زيدان وفريقه لنقرس الرازى من الجلدة إلى الجلدة، وتقع بلغاتها الأربع (العربية – الإنجليزية – الفرنسية – الألمانية) فى 178 صفحة، فى مقابل نشرتى لنفس الكتاب باللغة العربية فقط فى 191 صفحة. قدم يوسف وفريقه نشرتهم بمقدمة جاءت فى 3.5 صفحة فى حين بلغت مقدمتى 103 صفحة. اشتملت مقدمة زيدان وفريقه على اتهام الرازى بالتزلف لدى الملوك والأمراء طمعاً فى عطاياهم ، واشتملت أيضاً على اتهام الرازى بالإلحاد بدون أى دليل أو سند، فضلاً عن زعم يوسف زيدان أن أميراً أمر بضرب الرازى بكتبه على رأسه حتى تبلى وتهترئ.

لقد اتضح لنا أن هذه المقدمة الزيدانية القصيرة (والخطيرة) لهى خير دليل على الإساءة إلى التراث العلمى العربي الإسلامي، وبالتبعية لكل العرب والمسلمين. فيوسف زيدان يشيد بالرازى كأعظم علماء المسلمين، كما يعترف بأهمية نص النقرس الذى ينشره, ثم يقدم مقدمة لتلك النشرة (السيئة) فى ثلاث صفحات ونصف، تتضمن ثلاث اتهامات خطيرة للرازى، والعجيب أنها تتعلق بالجانب الشخصي عند الرجل، ولا تتعلق بنص النقرس بأى وجه من الوجوه. فالنص طبى أو علمى بحت، والإلحاد، والتزلف لدى الملوك، والضرب على الرأس بالكتب جوانب شخصية، لا ينبغي بأى وجه من الوجوه أن تقدم بها نشرة لكتاب طبي أو علمى بحت. وهنا يتضح الغرض الزيدانى الخفى من وراء هذا التوجه، ذلك الغرض الذى ينال إعجاب المستشرقين الغربيين (المغرضين) ، هؤلاء الذين يريدون منا أن ننشغل بمثل هذه الجوانب الشخصية (الملفقة) للرازى ، وغيره من علماء الحضارة الإسلامية الخالدين ، بدون التعرض لاستيعاب وفهم مضمون الكتاب ، ومحاولة الوقوف على المنهج العلمى الذى اتبعه الرازى – أو غيره– للوصول إلى ما وصل إليه من نتائج أفادت الإنسانية جمعاء .

وهذا ما فعله يوسف زيدان فى نشرته –وفريق عمله– لنشرة النقرس للرازى ، فشوه وحرّف ، وصحّف، وقلب الصواب خطأ فى كثير من مواضع النص الطبى ، وقدمه بمقدمة شخصية (تلفيقية) ، ثم أخرجه فى طبعة أنيقة – عن مكتبة الإسكندرية للأسف – سوف تحوز بلا شك إعجاب المستشرقين الغربيين– إن لم تمنع عن التداول ، وأظنها ستمنع – من حيث إن ابن يعقوب يوفر لهم ما يصبون إليه .

إن ما يؤيد ويعزز طرحى هذا أن منهج تحقيق ونشر النصوص التراثية يُحتم على المحقق القيام بحزمة من الخطوات المنهجية فى النص المراد تحقيقه ، لا فى شخصية مؤلفه ، ولم يقم يوسف زيدان بتلك الخطوات فى نشرته ، فى مقابل استيفائى لها بإسهاب واضح فى نشرتى، حيث تضمنت مقدمتى لتحقيق نص النقرس للرازى : دراسة فى الرازى كحجة للطب فى العالم منذ زمانه وحتى العصر الحديث ، بعنوان : "الرازى مدرسة طبية أفادت الإنسانية"، تناولت فيها الرازى من خلال ستة نقاط ، هى: 1– قوام المعرفة الطبية السابقة على الرازى . 2– المنطقات المعرفية الطبية السابقة على الرازى. 3– النشاط العلمى فى عصر الرازى . 4– مدرسة الرازى العلمية . 5– خصائص العمل العلمى عند الرازى، 6– إنجازات الرازى وأثرها فى الإنسانية. ثم اتبعت ذلك بدراسة فى النقرس –موضوع التحقيق–عند الرازى ، تناولت فيها النقرس فى مؤلفات الرازى الأخرى مثل كتاب التجارب،

وكتاب سر صناعة الطب ، وكتاب جراب المجربات وخزانة الأطباء، وكتاب فى علاج الأمراض بالأغذية والأدوية المشهورة الموجودة فى كل زمان .. وغير ذلك من مؤلفات الرازى التى حققتها ونشرتها .

وقد لاحظنا أن من الأمور المهمة التى استوقفتنى عند استيعاب وفهم نص النقرس أن الرازى يبتدأ الباب الأول منه بالتفرقة بين أعراض مرض النقرس ، وما شابهه من أمراض أخرى ، وخاصة مرض وجع المفاصل . وتلك مسألة جد خطير تستحق الوقوف عندها طويلاً ، حيث يعد الرازى بحق رائداً لما يطلق عليه حالياً التشخيص التفريقى Diff Diagnosis فى الطب الحديث . وقد اعتبرت ذلك من الإسهامات الأصيلة التى قدمها الرازى للإنسانية جمعاء . ولذلك قدمت دراسة بعنوان : "الرازى رائد نظرية التشخيص التفريقى (ص 75 من نشرتى) ، تناولت فيها أهم الفروق التى قال بها الرازى، ليس فقط بين النقرس ووجع المفاصل ، بل وبين الجدرى والحصبة ، والقولنج وحصاة الكُلى ، والصرع الخلقى والصرع العرضى .. وغير ذلك ، وقدمت نماذج تطبيقية لهذه الفروق، وانتهيت من هذه الدراسة إلى التقرير بأن الرازى يُعد بحق رائداً لنظرية التشخيص التفريقى المعمول بها حالياً فى الطب الحديث .

ثم اتبعت ذلك بتحليل دقيق ومفهوم لنص مقالة النقرس من حيث إن ذلك يعد من أهم مقتضيات منهج التحقيق . وانتقلت بعد ذلك إلى وصف النسخة الخطية وما توحى به من دلالات ، وما ألصقها بها يوسف زيدان من شبهات، حيث نقل مقدمة المخطوطة ، وقال : آثرت أن انقل النص مطولاً .. ليستنبط – بزعمه المغرض– الفرّيات التى ألصقها بالرازى ، وهى التزلف لدى الملوك والأمراء ، والإلحاد فى الدين ، وما ارتبط بها من الضرب على رأسه بكتبه حتى تُبلى .

وعند هذا الموضع الزيدانى المغرض وجدتنى أدحض هذه الفريات بالأدلة العلمية والمنطقية والموضوعية كل فى موضوعه ، وانتهيت إلى أن الرازى لم يتزلف لدى الملوك والأمراء طمعاً فى عطاياهم ، لسبب واقعى ومنطقى وعقلى وبسيط جداً ، وهو أن الرازى كان من أغنى أغنياء العلماء آنذاك ، حيث جمع ثروة طائلة بحكم عمله والمراكز التى شغلها مثل طبيب الخليفة الخاص ، ورئيس أكبر مستشفى فى الخلافة الإسلامية كلها .. ولقد قدمت من الأدلة ما يؤيد ويعزز عدم اهتمام الرازى بالتزلف لدى الملوك والأمراء للحصول على أموالهم ، وأوضحها أنه مات فقيراً ، والسبب الرئيس وراء ذلك ، والذى لم يعلمه ، يوسف زيدان ، ومن يشايعه من المستشرقين الغربيين المغرضين ، أن الرازى أنفق ثروته الطائلة التى جمعها بحكم طبيعة عمله ، على المرضى الفقراء والمحتاجين ، هؤلاء الذين كان يذهب إليهم بنفسه ليعالجهم فى بيوتهم ، فكان يشخص المرض ، ويأتى لهم بالعلاج الأمثل ، ثم يترك لهم جزءاً من المال يعينهم على بعض أمور الحياة . ظل الرازى على هذا الحال حتى انتهت ثروته ، مع تقدم العُمر ، فلم يجد بُد من أن يؤلف للمرضى الفقراء كتاباً يستطيعون به أن يعالجوا أنفسهم ، فكان كتابه الفريد فى نوعه "طب المساكين" أو "من لم يحضره الطبيب" ، وفضل الموت فقيراً على عطايا الملوك والأمراء .

أما بخصوص الفرية الثانية التى ألصقها يوسف زيدان بالرازى ، وهى الخاصة بإلحاده بناءً على زعمه أن الرازى كان يقول بالقدماء الخمسة : الله ، الزمان ، المكان ، النفس، المادة : ومن يقول بذلك ، كان مشركاً أو

ملحداً فى الدين ، ويستحق الاضطهاد بسبب أفكاره الفلسفية حتى أصُيب بالعمى فى آخر عمره ، لأن أميراً أمر بضربه على رأسه بكتبه ، حتى تُبلى هذه الكتب وتهترئ ، على حد افتراء يوسف زيدان على الرازى.

وفى ضحدى لهذا الافتراء ، وجدتنى أذهب إلى أنه مناقض لنفسه من وجهين ، الأول يتمثل فى أن عقاب من يُتهم بالإلحاد فى الدين فى مجتمع إسلامى ليس الاضطهاد ، بل هو الاستتابه لمدة ثلاثة أيام ، فإن لم يرجع عن إلحاده ويتوب فجزاءه القتل ، وليس الاضطهاد ، ويتضح الوجه الثانى فى أن المنطق يقول – والعقل يؤيده– إن المقرب للملوب مثل الرازى ، من الممكن أن يشفع له هذا القرب –خاصة إذا كان قائماً على الخدمة والتبجيل والتزلف– فى العفو عنه إذا ما ارتكب خطأ أو جرماً صغيراً ، أم كبيراً استحق عليه أن يرمى بالإلحاد والمروق عن الدين . فحجم ومكانة رجل مثل الرازى كانت تسمح له بأن يستتاب من قِبل أولى الأمر ، فإذا رجع عما زعمه – إن كان قد زعم– عفى عنه .

ولم يحدث شئ من هذا كله ، وذلك لأن الحقيقة التى يجهلها أو يستجهلها يوسف زيدان ومن يشابهه من المستشرقين الغربيين أن الرازى لم يلحد ولم يخلع عنه عباءة الدين ، ولم يتزحزح عنه قيد أنمله. وقدمت من الأدلة التى تثبت أن الرازى فيلسوف وطبيب مسلم موحد بالله ، مؤمن به ، وبملائكته ، وكتبه ورسله، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره . وتلك هى حقيقة الإيمان كما أخبر بها جبريل عليه السلام .

وبناءً على اعتقاد يوسف زيدان بأن الرازى قال بالقدماء الخمسة ، أى الشرك بالله والإلحاد فى الدين ، إذن فهو يستبعد أى وجود للصيغ والعبارات الإيمانية فى كتبه من قبيل : بسم الله الرحمن الرحيم – إن شاء الله تعالى – بإذن الله– بحول الله وقوته .. الخ . على اعتبار أن (الملحد) لا يؤمن ، ولا يقول بهذه الصيغ. وهو بذلك يشكك –بقصد أو بعدم علم– فى نسبة كتب الرازى إليه ، حيث إن الحقيقة التى لا مراء فيها هى أن جميع كتب الرازى الطبية ، والعلاجية والكيميائية ، بل والفلسفية مليئة بتلك الصيغ الإيمانية ابتداء بمقدمة أى كتاب مروراً بخواتيم فصوله أو أبوابه, وانتهائاً بخاتمته.

ولقد رأينا كيف أقبل يوسف زيدان على نشر كتاب "مقالة فى النقرس" للرازى بدون أى دراسة، كما بيّنت من قبل، والكتاب يبتدأ بالصيغ الإيمانية – أيده الله – أطال الله بقاءه – ولم يبق إلا الرغبة إلى الله عز وجل – فأتم الله علينا النعمة – بحوله وقوته فضلاً عن أن معظم أبواب الكتاب تنتهى بصيغ : "إن شاء الله تعالى"، وينتهى الكتاب بحمد الله ومنّه، وصلواته على خير خلقه محمد وآله وسلم تسليماً دائماً، وكل ذلك بدون أن يستدعى موقفه المسبق الداعى إلى إلحاد الرازى. والغرض من وراء ذلك واضح مبين لكل قارئ أمين كما قال الرازى نصاً: "لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل".

أما بخصوص الفّرية الثانية المتفرعة من فرية اتهام الرازى بالإلحاد ومؤداها أن أميراً أمر بضرب الرازى بكتبه على رأسه حتى تبلى وتهترئ، فواضح أنها تلفيق واضح يوهم بأنه مبرر للفرية الكبرى الأولى، وكأن يوسف زيدان يريد أن يقول لك : أضُهد الرازى بسبب قوله بالقدماء الخمسة (الله – النفس – المادة – الزمان – المكان) (شرك وإلحاد) حتى أن أميراً أمر بضربه بكتبه على رأسه حتى تبلى وتهترى، ودليل ذلك أن الرازى فقد بصره.

وبعد أن أضحدت فرية اتهام الرازى بالإلحاد، أرانى أيضاً أضحد ما تفرع منها، وأيضاً بالأدلة العلمية والمنطقية والعقلية، بل والسطحية الساذجة. فإذا أخذنا هذه الفرية من ذيلها، أقول إن الرازى فقد بصره فى أوآخر أيامه، لكن ليس بسبب ضربه بكتبه على رأسه كما زعم يوسف زيدان، بل بسبب طريقة الرازى فى الدرس والتحصيل والمطالعة والكتابة والتأليف، يقول أحد معاصريه : "ما دخلت عليه قط إلا رأيته ينسخ، إما يسود أو يبيض" ، وإذا علمنا إن عدد مؤلفات الرازى يزيد على المائتين والسبعين (270) كتاباً، لاقتربنا من السبب الحقيقي وراء فقد الرازى لبصره، وهو القراءة المفرطة، والكتابة المستمرة، كما ذكر البيرونى، وخاصة تحت إضاءة ضعيفة تمثلت فى الشموع والقناديل آنذاك. يقول الرازى نفسه : "بقيت فى عمل الجامع الكبير خمس عشرة سنة أعمله الليل حتى ضعف بصرى، وحدث على فسخ فى عضل يدي". ويقول :"إنه بلغ من صبري واجتهادى أنى كتبت بمثل خط التعاويذ فى عام واحد أكثر من عشرين ألف ورقة".

أيصح أمام هذه الحقائق البيّنة أن نصدق رواية يوسف زيدان الزاعمة بأن الرازى فقد بصره بسبب ضربه على رأسه بكتبه، وبأى عقل يمكن أن نصدق أن رجلاً يُضرب بـ (270) كتاب على رأسه حتى تبلى وتهترئ (أى تتفتت) وتكون النتيجة فقدان بصره فقط ! والمنطق يقول إن ضرب رجل بكتاب واحد فقط على رأسه حتى (يتفتت) كفيل بفقده لحياته كلها، وليس بصره فحسب. وللمتدبر أن يتدبر ويعى غرض يوسف زيدان من وراء تلك الفرّيات التى يشوه بها تراثنا العلمى المجيد.

إن كل ما سبق إنما يمثل ردى وضحدى لما افتراه يوسف زيدان فى مقدمته- المكونة من ثلاث صفحات – على الرازى.

أما نص النقرس المحقق فيبتدأ من ص 13 من نشرته، وينتهى فى ص 55، أى أن مجموع صفحات نشرة يوسف زيدان لنقرس الرازى 42 صفحة. ولقد رأينا كيف تمكنت – بفضل الله – من اكتشاف واستشفاف واستنتاج كمية المغالطات والتحريفات والتصحيفات والتعديات، والتشويهات التى حفل بها هذا العدد الضئيل من الصفحات لنشر مخطوط هام من التراث العلمى الإسلامي. وقد رصدت وضحدت كافة هذه الأمور (العبثية) كل فى موضعه من كتابى هذا، وحتى لا أكرر اكتفى هنا بذكر أرقام الصفحات التى احتوت كل أنواع الأخطاء التى وقعت عليها، ليخرج القارئ معى بالنتيجة النهائية لتلك النشرة الزيدانية الفريدة لنقرس الرازى.

قلت إن النص المحقق فى نشرة يوسف يبدأ من ص 13، وينتهى فى ص 55، وعرض يوسف أخطاءه فيما يلى من هذه الصفحات :

ص 13 – 14 – 17- 18 – 19 – 20 – 21 – 22 – 23 – 24 – 26 – 27 – 29 – 31 – 32 – 33 – 34 – 35 – 36 – 37 – 38 – 39 – 40 – 41 – 44 – 46 – 47 – 49 – 50 – 51 – 52 – 54.

فهذه الصفحات التى احتوت على أخطاء يوسف ومجموعها 32 صفحة من المجموع الكلى لصفحات الكتاب، وهو 42 صفحة، تلك التى ترجمت إلى لغات ثلاث أخرى غير العربية، وهى الانجليزية والفرنسية

والألمانية، مع التماس العذر للذين قاموا بالترجمة، أولئك الغير متخصصين فى التراث وقاموا بالترجمة بنيّة الحصول على أجرها فقط، فلا يسألوا عن الأخطاء التى اقترفها يوسف زيدان بالعربية، ونقلوها هم إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية، ولذلك وصفت نشرة يوسف زيدان باللغة العربية لمخطوط "مقالة فى النقرس" للرازى مع ترجماتها الثلاث بأنها "فضيحة عالمية".

11- اسهام الرازى فى طب العيون وصيدلانيتها

بحث ألقى فى مؤتمر العين فى التراث الإسلامى المنعقد بالمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية بالكويت 13-15 مارس 2007. انتهيت فيه إلى أن الدارس لتاريخ الطب العربى الإسلامى يدرك تماماً كيف أن هذا الطب قد مرّ بمراحل متعاقبة شكلت المقدمات المعرفية والمنهجية التى انطلقت منها مرحلة الإبداع والابتكار إبان القرن الثالث الهجرى .

ويعد أبو بكر محمد بن زكريا الرازى (250-313هـ / 864-925م) خير ممثل لبداية وازدهار هذه المرحلة من تاريخ الطب . وذلك إنما يرجع إلى الإنجازات الطبية والعلاجية ، والبحثية ، والتعليمية التى أبدعها ، وأفادت منها الإنسانية جمعاء .

لم يترك الرازى أياً من أجزاء الجسم إلا ودرسه ، ووصفه ، وشخّص أمراضه ، وقدم لها العلاجات المناسبة ، يدلنا على ذلك منهجه فى التأليف ، حيث امتازت معظم مؤلفاته بتناول الأعضاء ، أو الأمراض من الرأس إلى القدم . وهذا ما نجده، على سبيل المثال ، فى "الحاوى" ، "المنصورى" ، "بُرء ساعة" ، "التجارب" ، "الجراب" ، "منافع الأغذية ودفع مضارها" ، و "كتاب فى علاج الأمراض بالأغذية والأدوية " . وغير ذلك . كما أبدع الرازى فى تخصيص مؤلفات خاصة لأمراض بعينها ، مثل : "رسالة فى الجدرى والحصبة" ، "كتاب فى الفالج" ، "كتاب فى اللقوة" ، "كتاب فى الحصى فى الكُلى والمثانة" ، " كتاب القولنج" ، " مقالة فى البواسير والشقاق فى المقعدة" ، و " مقالة فى النقرس" .

ومع ما تشغله هذه المؤلفات من أهمية فى تاريخ الطب الإنسانى ، إلا أن "العين" بالذات ، وطبها ، وصيدلانيتها قد شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام الرازى . فتكاد تكون العين هى العضو الوحيد من أعضاء الجسم الذى أفرد له الرازى عدة مؤلفات ، لا مؤلف واحد . ومنها : " كتاب فى هيئة العين : ، "كتاب فى فضل العين على سائر الحواس" ، " مقالة فى المنفعة فى أطراف الأجفان" ، " مقالة فى العلة التى من أجلها تضيق النواظر فى النور وتتسع فى الظلمة" ، " مقالة فى علاج العين بالحديد" ، و" كتاب فى كيفية الإبصار". هذا بالإضافة إلى ما احتوت عليه المؤلفات الجامعة من أبواب وفصول مستقلة فى العين وأمراضها وعلاجها .

فما الدافع وراء اهتمام الرازى الزائد بالعين ؟

ما المنهج الذى اتبعه الرازى فى دراسة العين، وتشخيص عللها، ووضع أدويتها ؟

ما الحجم الحقيقى لإنجازات الرازى فى طب العيون ، وأثره فى اللاحقين وتاريخ العلم بخاصة ، والإنسانية بعامة ؟

تساؤلات منهجية وجوهرية تدور حول إجابتها هذه الدراسة . وسنعرض لأهمها فى الجزء المخصص من الحاوى للعين من النص المحقق فيما سيأتى .

12- إبداع الطب النفسى العربى الإسلامى

دراسة تأصيلية مقارنة بالعلم الحديث

خالد حربى ، إبداع الطب النفسى العربى الإسلامى ، دراسة تأصيلية مقارنة بالعلم الحديث ، ط الأولى ، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبى ، الكويت 2007.

تناولت الرازى فى هذه الدراسة ضمن مجموعة من علماء العرب والمسلمين الذين استطاعوا أن يدشنوا أو يبدعوا علم الطب النفسى العربى الإسلامى ، حيث استند العلاج النفسى خلال عصور التاريخ قبل العرب والمسلمين إلى السحر ، ورد المرض النفسى إلى قوى شريرة فى استخدام الرقى والتمائم والتعاويذ. ففى الحضارة اليونانية كان يعتقد أن الشفاء من الأمراض النفسية يستلزم أن ينام المريض فى هيكل خاص ، حيث يتم شفاءه بمعجزة تحل بجسده فى الليلة الوحيدة التى يقضيها فى ذلك الهيكل. ولقد اقتصرت الآفاق الخلقية فى الطب اليونانى على قسم أبقراط الشهير ، والذى كان مضمونه أن يقسم كل طبيب للأرباب والربات بأن يذهب إلى كل البيوت لفائدة مرضاها ، دون الذهاب إلى أصحاب الأمراض المستعصية ، هؤلاء الذين لا يُرجى شفاءهم. وكان ذلك استناداً إلى تعريف أبقراط للطب بالفن الذى ينقذ المرضى من آلامهم ويخفف من وطأة النوبات العنيفة ، ويبتعد من معالجة الأشخاص الذين لا أمل فى شفائهم .

ولقد أثبتت الدارسة أن الرازى فكر كأول طبيب فى معالجة المرضى الذين لا أمل فى شفائهم ، فعُدَّ بذلك رائداً فى هذا المجال . لقد رأى الرازى أن الواجب يحتم على الطبيب ألا يترك هؤلاء المرضى ، وأن عليه أن يسعى دوماً إلى بث روح الأمل فى نفس المريض ويوهمه أبداً بالصحة ويرجيه بها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس . وقد أتت الدراسة بأمثلة توضح أن الرازى قد أدرك أثر العامل النفسى فى صحة المريض ، ليس هذا فحسب بل وفى إحداث الأمراض العضوية،. وبذلك يكون الرازى قد تنبه إلى ما يسمى فى العصر الحديث بالأمراض النفسجسمية Psychomatic diseases وهى موضوع اهتمام أحدث فروع الطب .

أما الحاوى Continenes فيعد من أهم مؤلفات الطب العربى الإسلامى وأضخمها حجماً ، فهو أول موسوعة طبيبة لكافة المعلومات والعلوم الطبية المعروفة حتى وفاة الرازى فى بداية القرن العاشر الميلادى ، جمع فيها الرازى كل الخبرة الإكلينيكية التى عرفها فى مرضاه ، وفى نزلاء البيمارستانات (المستشفيات) . وهذا التأليف كان فتحاً جديداً فى تاريخ تعليم الطب. ويتفق جميع المؤرخين القدماء على أن الرازى توفى قبل أن يُخرج هذا الكتاب ، ويرجع الفضل فى إخراجه إلى ابن العميد أستاذ الصاحب بن عباد الذى طلبه من أخت الرازى، وبذل لها دنانير كثيرة، حتى أظهرت له مسودات الكتاب. فجمع تلاميذه الأطباء (منهم: يوسف بن يعقوب، وأبو بكر قارن الرازى) الذين كانوا بالرى، حتى رتبوا الكتاب.

ويعتبر كتاب الحاوى أضخم كتاب عربى وصل إلينا كاملاً، وهو مازال ضخماً غنياً بالمعلومات الطبية، لم يُسبر غوره، ولم يُدرس بدقة وتأصيل لكثرة ما تضمنه من أسماء الأدوية وصيدلية تركيبها، وأسماء الأطباء من العرب، وغير العرب الذين أُخذ من مؤلفاتهم فى هذا الكتاب. ولضخامة الكتاب بهذا الشكل، لم يقرضه طبيب من الذين أعقبوا الرازى، وكل ما فعله الممارسون من بعده، أن تداولوا صوراً مختصرة منه ومن هؤلاء.

على بن داود، صنف "مختصر الحاوى" فى حدود سنة 530 هـ - 1135م.

ابن باجه الأندلسى، توفى عام 537 هـ - 1142 م، وضع كتاب : اختصار الحاوى فى الطب.

كمال الدين الحمصى من أطباء دمشق ، توفى 613هـ – 1215م وضع كتاب: اختصار كتاب الحاوى فى الطب.

رشيد الدين أبو سعيد بن يعقوب، من أطباء القدس، توفى عام 646 هـ - 1284 م، وضع كتاب: تعليق على كتاب الحاوى فى الطب للرازى.

أبو الحسن على بن عبد الله القريشى، وضع كتاب: المنتخب من الحاوى فى الطب (مع إضافات نحوية وشعرية).

وهناك عدد من الأطباء العرب ألفوا كتباً وأطلقوا عليها نفس الاسم "الحاوى" منهم: الطبيب على بن سليمان من أطباء القاهرة أيام العزيز بالله الفاطمى، توفى 411هـ -1021م، وسماه: كتاب الحاوى فى الطب.
نجم الدين محمود الشيرازى توفى عام 730 هـ - 1329م، سماه كتاب الحاوى فى علم التداوى.

وقد اشتهر الحاوى بذكر عدد كبير من الحالات السريرية التى تجاوز عددها المائة حالة. وهو موسوعة طبية اشتملت على كل ما وصل إليه الطب إلى وقت الرازى. ففيه أعطى لكل مرض وجهة النظر اليونانية، والسريانية، والهندية، والفارسية، والعربية، ثم يضيف ملاحظاته الإكلينيكية ، ثم يعبر عن ذلك برأى نهائى. ولذلك اعتبر "الحاوى" من الكتابات الهامة فى مجال الطب التى أثرت تأثيراً بالغاً على الفكر العلمى فى الغرب، إذ ينظر إليه عادة على أنه أعظم كتب الطب قاطبة حتى نهاية العصور الحديثة.

وقد ذكر كل من "سنغر وأندروود" أن كتاب الحاوى فى الطب هو أعم موسوعة فى الطب اليونانى العربى. وأهم أعمال الرازى، فجاء أوسع وأثقل كتاب تُرجم إلى اللاتينية، وطبع فى أوربا سنة 1486. ويذكر ماكس مايرهوف أنه قد ترجم على يد طبيب يهودى من صقلية يدعى فرج بن سالم – ويعرف فى العالم اللاتينى باسم فراجوت – بأمر من شارل الأول أمير نابولى وصقلية. وقد انتهى فرج هذا من ترجمة "الحاوى" فى عام 1279 ميلادية، وكانت بعنوان Liber Dietus Elhavi، لكن الترجمة لم تنشر إلا فى عام 1486 فى بريشيا واليندقية فى إيطاليا.

وبين عام 1279 و عام 1486 ظلت مخطوطات الحاوى اللاتينية نادرة ، فمكتبة كلية الطب فى باريس لم تكن تمتلك فى منتصف القرن الرابع عشر إلا نسخة واحدة منه. ومن الطريف أن ملك فرنسا لويس الحادى

عشر اضطر إلى دفع تأمين مالى كبير فى مقابل أن يستعير هذه النسخة لكى ينسخ عنها أطباء البلاط الملكى الفرنسى مرجعاً لهم ,, وبين عام 1452 وعام 1509 ظهرت طبعات.

وقد نشرت للحاوى ترجمة لاتينية أخرى باسم Continens Rasis فى البندقية عام 1542 ميلادية. وجاءت هذه الترجمة فى 25 جزء، وبلغ وزنها حوالى 9 كيلو جرامات كما قدم Green Hill طبعة ممتازة عام 1448. أما الطبعة العربية لكتاب "الحاوى" فقد تأخرت حتى سنة 1955. حين ظهر الجزء الأول من هذا الكتاب والذى اعتبره جميع الخبراء بالطب العربى القديم من أهم المصادر . وقد قامت دائرة المعارف العثمانية فى حيدر آباد الدكن بالهند وبمعونة من حكومة الهند بتشكيل فريق من العلماء والباحثين، فجمع هذا الفريق عدة نسخ خطية. واستمر طبع الكتاب، حتى اكتمل فى 1971، وجاء فى مجموعة مكونة من 23 جزء. ويقع الجزء الثالث والعشرين فى قسمين يكون كل قسم منهما مجلداً. إلا أن هذه الطبعة لم تحقق تحقيقاً علمياً دقيقاً. **وعلى هذا الأساس ما يزال كتاب الحاوى بكراً لم يعمل به الباحثون باهتمام وشمول ودقة. وهذا ما داعنى إلى تحقيقه ونشره ضمن مشروعى التراثى المنصب على تحقيق ونشر مؤلفات الرازى المخطوطة. ذلك الذى بدأ عام 1994، وجاءت بادرته بحصولى على الماجستير فى الرازى عام 1998 من خلال دراسة علمية ومنهجية فى الرازى وتحقيق موسوعته: "جراب المجربات وخزانة الأطباء"، ثم توالى تحقيق ونشر مؤلفات الرازى المخطوطة، فحققت ونشرت – بحول الله– بعد الجراب: كتاب التجارب، وكتاب سر صناعة الطب، وكتاب بُرء ساعة، وكتاب مقالة فى النقرس .. وهذه الكتب التى تجشمت عناء تحقيقها ونشرها إنما تمثل (حزمة) من المبادئ والآراء والأفكار والنظريات الرازية التى لم تكتشف من قبل. فتم اكتشافها باعتبارها إضافات جديدة فى بناء مذهب الرازى، وحجم الطب العربى الإسلامى ككل. وقد أفدت إفادات جمة بتلك الدراسات والتحقيقات فى منهجى لتحقيق "الحاوى فى الطب" كأعم وأوسع وأهم وأضخم موسوعة طبية فى الطب العربى الإسلامى، بل فى تاريخ الطب الإنسانى كله. ولعل هذا ما يفسر استمرار العمل فى تحقيق الحاوى من سنة 1995، وحتى سنة2012.**

لقد اعتمدت في التحقيق علي تسع (9) نسخ خطية تكاد تكون هي كل النسخ الخطية الموجودة في العالم ، تسع نسخ خطية يبلغ عدد صفحاتها 6620 صفحة مخطوطة اشتمل تحقيقها علي اكثر من نصف مليون هامش تحقيق متضمنة: المقابلات بين النسخ الخطية لضبط سياق النص ، وشرح كافة المصطلحات الطبية والصيدلانية واللغوية والأمراض والأعراض والأدوية المفردة والأدوية المركبة والأطعمة والنباتات والأعشاب والحيوانات والمعادن والأحجار والأملاح والموازين والإعلام من أطباء الهند والفرس واليونان والسريان والاسكندرانيين والعرب والمسلمين وكذا مؤلفات كل هؤلاء الأمر الذي أدى إلى اكتشاف كثير من الأفكار والآراء والنظريات الرازية وغير

الرازية التي لم تكتشف من قبل ، فتم اكتشافها بحول الله في تحقيقي للحاوي تلك الاكتشافات التي أظنها سوف تحدث تغييرا في مسار تاريخ الطب العربي الإسلامي، بل في مسار تاريخ الطب الإنساني كله .

ان تحقيق ونشر أول وأهم وأضخم موسوعة طبية في تاريخ الإنسانية لأول مرة تحقيقا علميا دقيقا، لطالما نادي به كل المشتغلين بتاريخ العلم علي مستوى العالم ،و قد جاء هذا التحقيق كاستجابة لتلك المناداة ، و مؤكدا عليها في الوقت نفسة، وليس ادل علي ذلك من ان المحقق قد وضع يده على فوائد جمة استنبطها من تحقيق نص موسوعة الحاوي فى الطب، و منها ما يلى :

- تحتوي موسوعة الحاوي في الطب للرازي علي متون كتب كاملة من الحضارات السابقة علي الحضارة الإسلامية كالحضارة الهندية وبلاد الرافدين والفارسية واليونانية والسيريانية وأيضا الحضارة العربية الإسلامية وأصول هذه الكتب مفقودة ولا توجد إلا في الحاوي .

- يشتمل تاريخ الطب العالمي حاليا علي كثير من الإنجازات والاكتشافات والأعمال الطبية والصيدلانية منسوبة إلى أطباء لاحقين علي الرازي وكتاب الحاوي يثبت أن اصحابها الاصليين كانوا قبل الرازي أو معاصرين له .

- تصب النقطتان السابقتان في مسار تغيير وتصحيح حلقات مهمة من سلسلة تاريخ الطب العالمي .

وضع قاموس للمصطلح الطبي العربي الإسلامي يخدم كل المشتغلين بتاريخ الطب ويفعّل حركة تعريب العلوم الطبية التي بدأت بوادرها في الدول العربية والإسلامية .

- إنشاء لجنة أو هيئة طبية صيدلانية عربية تقوم باستخدام الأساليب المعملية الحديثة بإجراء التجارب علي الوصفات العلاجية بالنباتات الطبيعية والأعشاب التي تحتويها موسوعة الحاوي وتقديم ما يصلح منها للعلاج حاليا في صورة صيدلانية حديثة، وذلك أسوة بالشوط الكبير الذي قطعته كثير من دول العالم في هذا الميدان ، فأصبح مألوفا أن نسمع ونرى الطب والعلاج الصيني ، الطب والعلاج الهندي ، الطب والعلاج البولندي ... الخ فضلا عن أن ألمانيا تكاد تكون قد انتهت من تقرير المعالجة بالنباتات والأعشاب الطبيعية لأغلب الأمراض السائدة حاليا .

- إن تحقيق و نشر موسوعة الحاوي في الطب للرازي في طبعة محققة تحقيقا علميا منهجيا دقيقا سوف يفيد منها كل الجامعات والمؤسسات والمعاهد ومراكز البحوث العربية والغربية المعنية بتاريخ العلم عامة وتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين خاصة بما يخدم إعادة استخراج المكنون العلمي والفكري الكبير للحضارة العربية الإسلامية والعمل علي التعريف بدوره في تأسيس الحضارات الإنسانية المختلفة .

- إن تحقيق و نشر الحاوي يندرج ضمن منظومة حماية التراث العلمي العربي والإسلامي ورد اعتباره والعمل علي صيانته ودمج مكوناته النظرية والعملية في المنظومة التعليمية الحديثة والعمل علي استعادة ما

فقد منه ، والتعاون مع الهيئات والمنظمات العلمية العالمية علي اعتبار هذا التراث قاسما انسانيا مشتركا خدم الحضارات الإنسانية ويشكل حاليا قاعدة معرفية للتواصل بين العرب والمسلمين وغيرهم من أصحاب الحضارات الأخرى .

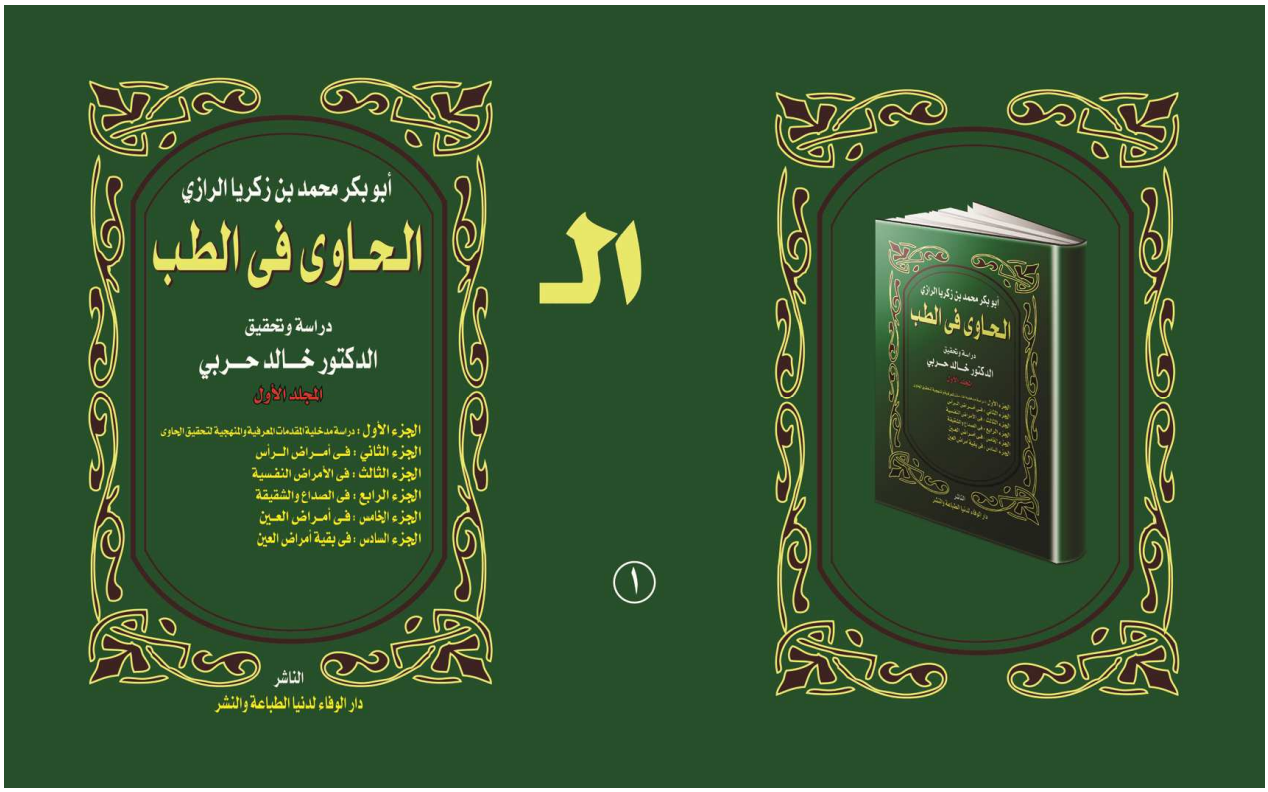

-